الفصل الثالث

الليبرالية الجديدة
هل هي دعوة لثقافة الهزيمة؟

obeikandl.com

obeikandl.com

كيف نشأ تيار الليبرالية الجديدة

من المعروف أن الإصلاحيين العرب شكلوا تياراً في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين. بدأه جمال الأفغاني ومحمد عبده ورشيد رضا والكواكبي وشبلي شميل وفرح أنطوان. وقد اختلفت وجهات نظرهم الإصلاحية من داعٍ إلى إصلاح الإدارة في الدولة العثمانية إلى داعٍ للارتماء في أحضان العلمانية الغربية.

وتابع هذه الأفكار في بداية القرن العشرين وحتى منتصفه كل من طه حسين وقاسم أمين والزيات والحكيم وهيكل. وكما تباينت مواقف الأولين اختلفت مواقف الأخيرين وانصبت أفكار الأخيرين على الأدب أكثر مما انصبت على الدين والفكر.

وبشكل عام، فقد جمعت بين الإصلاحيين أفكار عامة شمولية منها:

- الدعوة إلى حرية الفكر المطلقة.
- حرية التدين المطلقة.
- حرية المرأة ومساواتها بالحقوق والواجبات مع الرجل.
- التعددية السياسية.
- المطالبة بالإصلاح الديني.
- المطالبة بالإصلاح التعليمي والسياسي.
- فصل الدين عن الدولة.
- إخضاع المقدس والتراث للنقد العلمي.

وفي النصف الثاني من القرن العشرين ظهرت حركة للإصلاحيين الجدد، هاجر أكثر دعاتها إلى الدول الغربية وأميركا. أضافت على ما طرحه الإصلاحيون القدامى عدة أمور منها: محاربة المجتمعات الديكتاتورية العسكرية والقبلية والحزبية المتسلطة التي ظهرت بعد الاستقلال وأحدثت ما أطلقوا عليه كوارث الاستقلال. إضافة للمناداة بإقامة المجتمع المدني وإحياء دعوة الإصلاح الديني من جديد. والتأكيد على العلمانية وفصل الدين عن الدولة.

وليس من قبيل الربط بين الإصلاحيين القدامى وبين حركة الليبراليين الجدد، فإننا نوضح أن لا علاقة بين هؤلاء وهؤلاء. لا في المنهج ولا في الإصلاح ولا في الرؤية للاستعمار. فبعد أحداث الحادي عشر من أيلول/ سبتمبر ظهر جيل جديد ممن يسمون بالليبراليين الجدد نادوا بعصر تنوير جديد.

وما يهمنا من هذا الحديث هو ما ظهر من هذا التيار في السنوات القليلة الماضية. لأن فحص الطرح الذي يطرحه أصحابه يجعلنا مدفوعين لمناقشتهم في مبادئهم الداعية للتغيير ونقد الإسلام بكل الأشكال.

وقد لخص الدكتور شاكر النابلسي، وهو من زعماء هذا التيار، مبادئهم وأفكارهم في النقاط التالية:

1 ـ المطالبة بإصرار بالإصلاح الديني الظلامي في ظل سيادة الإرهاب الديني بعد أن تم خطف الإسلام وتم تزويره وأدلجته أدلجة دموية مسلحة.

2 ـ الدعوة إلى محاربة الإرهاب الديني والقومي والسياسي والدموي المسلح بكافة أشكاله.

3 ـ تأكيد إخضاع المقدس والتراث والتشريع والقيم الأخلاقية للنقد العميق، وتطبيق النقد العلماني العقلاني بموجب الجينالوجيا Genelogy الذي يتلخص بالسؤال التأويلي (من؟) وبالسؤال التقويمي (لماذا؟) وبحيث يكون النقد تأويلاً وتقويماً لا مجرد سخرية وسباب وباعتبار أن الجينالوجيا هي أداة وعي الحداثة حيث يصبح النقد الحقيقي سبيلاً إلى الرشد الحقيقي[15].

4 ـ اعتبار موقف الدين العدائي من الآخرين موقفاً جاء بناء على ظروف سياسية واجتماعية معينة قبل خمسة عشر قرناً. ولم تعد هذه الظروف قائمة الآن. وإنما تغيرت تغيراً كلياً ولذا يجب عدم الاستعانة مطلقاً بالمواقف الدينية التي جاءت في الكتاب المقدس (القرآن) تجاه الآخرين قبل خمسة عشر عاماً لمهاجمة الآخرين الآن وسفك دمائهم. فالمصالح متغيرة والمواقف متغيرة والتغير هو سنة الحياة.

5 ـ العودة إلى الذات ونقدها والعودة إلى الوعي بالذات لا كأفراد ولكن كأمة ولا يكفي أن نهزم الأساطير ولكن علينا ملاحقة ظلالها في الكهوف والمغارات أيضاً.

6 ـ عدم الحرج من الاستعانة بالقوى الخارجية لدحر الدكتاتورية العاتية واستئصال جرثومة الاستبداد وتطبيق الديمقراطية العربية في ظل عجز النخب الداخلية والأحزاب الهشة عن دحر تلك الدكتاتورية وتطبيق تلك الديمقراطية.

7 ـ لا حرج أن يأتي الإصلاح من الخارج ولكن بالطرق الدبلوماسية والمهم أن يأتي، سواء أتى على ظهر جمل عربي أو على ظهر دبابة بريطانية أو بارجة أمريكية أو غواصة فرنسية.

8 ـ الإيمان بأن لا حل للصراع العربي مع الآخرين سواء في فلسطين أو خارجها إلا بالحوار والمفاوضات والحل السلمي في ظل عدم تكافؤ موازين القوى العسكرية والعلمية والاقتصادية والعقلية بين العرب وأعدائهم.

9 ـ الإيمان بالتطبيع السياسي والثقافي مع الأعداء والاعتراف بالواقعية السياسية وما يجري على أرض الواقع العربي السياسي... وأن التطبيع والتلاقح بين الشعوب والثقافات هو الطريق إلى السلام الدائم في الشرق الأوسط. وأن اتفاقيات السلام كاتفاقية كامب ديفيد 1997 واتفاقية أوسلو 1993 واتفاقية وادي عربة 1994 يجب أن تصبح اتفاقيات شعبية بين الشعوب بدلاً من أن تكون اتفاقيات دول فقط ولا علاقة للشعوب بها.

10 ـ الوقوف إلى جانب العولمة وتأييدها باعتبارها أحد الطرق الموصلة إلى الحداثة الاقتصادية العربية التي يمكن أن تقود إلى الحداثة السياسية والثقافية.

11 ـ المطالبة بمساواة الرجل بالمرأة مساواة تامة في الحقوق والواجبات والعمل والتعليم والإرث وتبني مجلة الأحوال الشخصية التونسية التي صدرت عام 1957 التي تعتبر النموذج الأمثل لتحرير المرأة العربية دون الحاجة إلى تبني قيم الغرب في تحرير المرأة ومساواتها بالرجل.

12 ـ اعتبار الأحكام الشرعية أحكاماً وضعت لزمانها ومكانها وليست أحكاماً عابرة للتاريخ كما يدعي رجال الدين ومثالها الأكبر حجاب المرأة وشهادة المرأة.

13 ـ إن الفكر الديني هو الفكر الذي جاء به علماء الدين وفقهاؤه ورجاله، وليس الدين الرسولي نفسه يقف حجر عثرة أمام الفكر الحر وتطوره كما يقف حجر عثرة أمام ميلاد الفكر العلمي.

14 ـ لا ولاء مطلقاً للماضي المحكوم بماضيه فقط، ولا انغلاق عليه. وفهم الحاضر يدفعنا إلى إعادة النظر في قيم الماضي، وضرورة خلق المستقبل الذي هو لبّ الحداثة.

15 ـ لا يمكن إنتاج الحاضر بتاريخ الماضي، وإنما بتاريخ الحاضر، والمستقبل كذلك. وشرط تخطي الماضي قائم في الحاضر وليس في الماضي. وخاصة ماضينا وتراثنا الثقافي الذي أقام مجزرة معرفية لنفسه بنفسه، وعادى الفلسفة بقيادة ابن تيمية والسيوطي وابن القيم الجوزية وغيرهم، وطرد العقل، واضطهد المعتزلة، وأغلق باب الاجتهاد، وحرّم علم الكلام، ونفى أصحاب المنطق، ووضع النصوص الدينية المزوّرة التي تحارب الفلسفة والحكمة وإعمال العقل، وألغى العلوم الطبيعية والطب واعتبرها علوماً دخيلة، واستبدل بها العلوم الدينية والطب النبوي حتى أصبح النبي أشهر وأحذق من أبي الطب أبيقراط، وحرّم الموسيقا والغناء والنحت والرسم والشعر، وكافة أشكال الفنون الإنسانية الرفيعة.

16 ـ تحرير النفس العربية من ماضيها، ومن حكم الأسلاف الذين ما زالوا يحكموننا من قبورهم.

هذه تقريباً أهم البنود التي جاءت في وثيقة الإصلاحيين الجدد والتي تفصح عن أفكارهم ومواقفهم تجاه عشرات القضايا الحساسة. ونعتقد أن هذه البنود تحتاج لمناقشة وتسليط الأضواء لنرى مدى ما تتقارب به من فكر المحافظين الجدد الذين يحكمون اليوم التوجه الأمريكي المعادي للعروبة والإسلام، ولنرى مدى التقارب بين هذه الأفكار والدعوة لاستقدام الاستعمار إلى الأرض العربية.

وقبل البدء بمناقشة هذه الأفكار التي يطرحها أحد رموز التيار الليبرالي لنا العديد من الأسئلة المشروعة التي نطرحها ليُجاب عليها.

كيف نعرف الليبرالي؟ وما هي هويته؟

وبطبيعة الحال لسنا نقصد واحداً بعينه، إنما نقصد بذلك التعريف العام لكل شخص يتبنى مجموعة أفكار يتفق عليها أصحاب التيار الليبرالي الجديد من العرب، وحسب ما أفصحوا عن أنفسهم.

فالليبرالي: هو الذي يدعو إلى الإصلاح بأي وسيلة عسكرية أو سياسية لمجابهة أنظمة الحكم الحالية في الوطن العربي. وهو الذي يدعو إلى التوقف عن التعامل الشرعي مع النص القرآني والسنة النبوية باعتباره صلح لزمانه وما عاد يصلح لهذا الزمن. وهو الذي يدعو إلى تمثل الحداثة الغربية والعولمة ويدين كل عمل مقاوم ضد الاحتلال الصهيوني للأرض العربية. ويدعو إلى الحوار السياسي والانفتاح على إسرائيل والتطبيع معها من خلال اتفاقيات كاتفاقية كامب ديفيد وأوسلو ووادي عربة.

السؤال الثاني:

إذا كان الليبراليون الجدد يدّعون بالسير على طريق المصلحين الأوائل أمثال الأفغاني ومحمد عبده ورشيد رضا ومن بعدهم طه حسين وغيره، فهل تنطبق مبادئهم على مبادئ هؤلاء المصلحين في الدعوة للتخلص من النص القرآني والسنة النبوية والتراث الإسلامي والدعوة لاستجلاب الاستعمار للقضاء على أنظمة الحكم في العالم العربي الإسلامي؟

إن الأفغاني وعبده ومن جاء بعدهما دعوا إلى الإصلاح الإداري والمالي والسياسي في الدولة العثمانية الإسلامية ولم نسمع أن أحداً منهم أجاز الاستعانة بالاستعمار للقضاء على الخلافة الإسلامية العثمانية.

أما طه حسين وأمثاله فقد دعوا إلى إصلاح نظام التعليم ولم نسمعهم يدعون لاستجلاب الاستعمار ليغير مناهج التعليم في مصر. صحيح أنهم انبهروا بالغرب وبأنظمته التعليمية وأفكار فلاسفته وعلماء اجتماعه كما جرى لطه حسين، لكنهم كانوا أبعد ما يكونون عن الدعوة للاستعمار واستجلابه ليحل مشاكل الأمة السياسية والتعليمية وغيرها.

السؤال الثالث:

ما العلاقة بين من يُطلق عليهم الليبراليون الجدد والمحافظون الجدد في أميركا؟

يجيب الدكتور شاكر النابلسي بنفسه عن هذا السؤال بقوله:

(والحقيقة أن لا علاقة سياسية ولا فكرية بين المحافظين الجدد في أمريكا وبين الليبراليين الجدد في العالم العربي فيما عدا نقاط ثلاث فقط يلتقي فيها الليبراليون الجدد مع المحافظين الجدد وهي:

1 ـ تحديد أمريكا لنظم الحكم الديكتاتوري.

2 ـ تعزيز ودعم الإصلاح السياسي وحرية السوق في العالم.

3 ـ قيم الحرية والديمقراطية وحرية السوق ليست حصراً ووقفاً على شعب دون آخر[17].

ويرى الدكتور النابلسي أن الهجوم الشرس الذي يتعرض له الليبراليون العرب الجدد جاء انطلاقاً من الربط المزور بين المحافظين الجدد وبين الليبراليين العرب الجدد. ولهذا يطلق معارضو هذا التيار صفات كثيرة على هؤلاء الإصلاحيين الجدد. منها أنهم كتاب المارينز، ومنها أنهم الليبراليون المتآمرون، وأنهم فاقدو الرؤية السياسية ومنافقون، وأنهم كتاب الطابور الخامس.

على أية حال، فإن الليبراليين العرب الجدد تجمعهم اليوم أربعة مراكز:

الأول: مركز دعم الديمقراطية في لاهاي.

الثاني: مركز دعم الديمقراطية العربية في أمريكا.

الثالث: الرابطة الجامعية الأمريكية.

الرابع: التجمع العربي الليبرالي الجديد مركزه أمريكا.

بعد هذه التعريفات والمقدمات نعود لمناقشة آراء هذا التيار الذي يطلق على نفسه تيار الليبراليين العرب الجدد.

1 ـ جاء في البند الأول:

المطالبة بإصرار بالإصلاح الديني الظلامي في ظل سيادة الإرهاب الديني بعد أن تم خطف الإسلام وتزويره وأدلجته أدلجة دموية مسلحة.

فما المقصود بالإصلاح الديني الظلامي؟ وما معنى سيادة الإرهاب الديني؟ وما معنى خطف الدين الإسلامي وتزويره؟ وما معنى أن يؤدلج أدلجة دموية مسلحة؟

فالناظر في هذه الأفكار يدرك مباشرة مدى التطابق بينها وبين أفكار الهجوم على الإسلام من قبل زعماء الحركة الصهيونية والحملة الصليبية التي يشنها المحافظون الجدد على الإسلام والمسلمين.

ولو نظرنا إلى تنظيرات مفكر المحافظين الجدد ليو ستراوس والمستشرق برنار لويس تجاه الإسلام والمسلمين أدركنا ذلك التطابق بين التيارين في معاداة الإسلام والمسلمين. ويبدو أن أصحاب هذا التيار بدأوا من النتائج وتهربوا من الأسباب. وخلطوا بين الصحوة الإسلامية التي تشمل اليوم العالم الإسلامي كله وبين بعض مظاهر العنف التي سببتها بعض الفئات.

على كل حال، أين سيادة الإرهاب الديني؟ فعندما تقول سيادة يعني ذلك أن الإرهاب الإسلامي إن وجد فمن المحتم أن يكون التيار الإسلامي هو الحاكم المتنفذ. فالسيادة ليست بيد التيار الإسلامي، وفي غالبية العالم الإسلامي لا يتسيد مقاليد السلطة إلا أصحاب التيار العلماني، وحتى الدول التي تحسب معتدلة، وتحكم بطريقة قبلية، تتصدى للتيار الإسلامي تصدياً شديداً، فكيف يمكن أن يسود الإرهاب الإسلامي والمسلمون أكثر الناس عرضة للتصدي والتضييق؟.

وإذا كان ثمة تيارات إسلامية تنادي بالعنف وسيلة فمن المفترض أن تدرس الأسباب التي دفعت هذه التيارات لاستخدام العنف مع أعداء الأمة. والليبراليون هم الذين يدعون إلى الحرية والديمقراطية وتنظيف السجون، فلماذا يتجاهلون واقع المسلمين من الجماهير في ظل الأنظمة المستبدة؟

أما أن الإسلام تمت أدلجته أدلجة دموية مسلحة، فهذا مما ينم عن حكم مسبق، فالإسلام حدد وبشكل واضح متى يكون الصدام المسلح مع المعتدين.

لكن الليبراليين يتناسون أن الهجمة الصهيونية الصليبية هي هجمة دموية ضد المسلمين، بل هناك حرب إبادة للمسلمين تجري في فلسطين والعراق وفي غيرهما من بلدان العالم، فماذا يتوقع الليبراليون أن يكون رد المسلمين؟

إن هذا يؤكد لنا أن هؤلاء يدعون الأمة العربية الإسلامية إلى قبول الاستعمار باستسلام كامل مهما قتل ومهما شرد ومهما أباد. ونحن نسأل هؤلاء ماذا تتوقعون من الشعب الفلسطيني أو الشعب العراقي أن يفعل إزاء ما تقوم به الديمقراطية الأمريكية والإسرائيلية؟ فالأرض تُسرق والترحيل على قدم وساق وحرب الإبادة مستمرة.

والليبراليون الجدد إذ يرون في التاسع من نيسان عيداً إنسانياً بسبب نزول القوات الأمريكية في العراق يرون فيه فجر الحرية والديمقراطية العربية (التي انتظرناها خمسة عشر قرناً من الزمان) (فاضطررنا بعد انتظار طويل إلى إحضارها على أجنحة صواريخ كروز والتوماهوك حين لم تعد تفل كلمات الأحرار حديد العبيد وغدا حديد العبيد هو من يفل حديد العبيد في العالم العربي)[18].

هذا ما يرونه في احتلال العراق. أما ماذا كانت النتيجة؟ فليقولوا رأيهم بمئة ألف مدني عراقي قتلوا خلال سنة جراء القصف من الطيران والمدفعية الأمريكية وجراء حرب الإبادة في الفلوجة والنجف وبغداد والرمادي وأبي غريب.

إن الذين يرفضون الاستعمار الأمريكي والقهر والاستبداد يقاتلون من أجل الحرية الوطنية ومن أجل عقيدتهم لأنهم يرفضون رفضاً مبدئياً القبول باستجلاب الاستعمار إلى أرضهم وبلدهم. تلك الحرية التي يدعي الليبراليون العرب الجدد الدفاع عنها تتجلى في السكوت عن فضائح سجن أبي غريب التي أدانها القاصي والداني. ما موقفهم منها؟ وما موقفهم من قتل مئات من الأطفال والنساء والشيوخ؟

يقولون: الحرية التي جاءت بها أمريكا هي لإعادة العالم العربي المسروق والمخطوف من الأحزاب القومية الأصولية ومن الأحزاب الدينية الأصولية كذلك.

فأي أحزاب إسلامية سرقت وخطفت العالم العربي؟ وهل تجدون في كل البلاد حزباً إسلامياً يحكم بلداً أو مدينة أو قرية؟

ويقولون: إن تلك الأحزاب رفعت رايات الإرهاب الحمراء في كل مكان من العالم من أجل أن تسود الفوضى ويعم الظلام.. فمن الذي يشيع الفوضى في العالم؟ ومن يرفع رايات الإرهاب الحمراء؟

ماذا تقولون بما يقوم به الكيان الصهيوني ومن قتل وإبادة وتهديد مستمر للسلام العالمي؟ إذا كانت الشعوب الأوروبية الديمقراطية قد أكدت أن الخطر الأول على السلام العالمي هو الكيان الإسرائيلي، فماذا تقولون في هذا الكيان؟ أليس هو الذي رفع الرايات الدامية في كل مكان من العالم حتى تسود الفوضى ويعم الظلام؟

2 ـ وجاء في البند الثاني:

الدعوة إلى محاربة الإرهاب الديني والقومي والسياسي والدموي المسلح بكافة أشكاله.

فإذا كان الليبراليون الجدد يهللون لاستقدام قوات الاحتلال الأمريكي إلى الأرض العربية فما هو موقفهم من الإرهاب الديني الأمريكي الذي يقوم على أسس عنصرية توراتية صليبية، ألم يطرح بوش أن ما تقوم به أمريكا هو حرب صليبية جديدة؟

3 ـ وجاء في البند الثالث:

تأكيد إخضاع المقدس والتراث والتشريع والقيم الأخلاقية للنقد العميق، وتطبيق النقد العلماني العقلاني بموجب الجينالوجيا Genelogy الذي يتلخص بالسؤال التأويلي (من؟) وبالسؤال التقويمي (لماذا؟) وبحيث يكون النقد تأويلاً وتقويماً لا مجرد سخرية وسباب، وباعتبار أن الجينالوجيا هي أداة وعي الحداثة حيث يصبح النقد الحقيقي سبيلاً إلى الرشد الحقيقي.

فالمقدس هو القرآن الكريم والسنة النبوية، فبحسب منهج الليبراليين الجدد يجب أن يخضع هذا المقدس لعلم تطور الجينات، فكيف يمكن إخضاع القرآن الكريم لهذا العلم المادي الذي يتناول تطور الجينات وتغيراتها.

إن هذا الطرح يريد أن يقول إن الإسلام الذي أساس مصدره القرآن والسنة يحتاج لمراجعة ونقد. ويجب أن يخضع للنقد العقلاني الذي يبدأ بالسؤال من ولماذا. ويرون على ضوء ذلك أن الأمة وقعت منذ خمسة عشر قرناً، أي منذ ظهور الإسلام في التحجر وسلب الحريات وبناءً عليه فيجب أن يُزال هذا الإسلام وتُزال مراجعه أي الكتاب والسنة.

وهذا ما يفسره البند الرابع الذي يقول:

4 ـ البند الرابع:

اعتبار موقف الدين العدائي من الآخرين موقفاً جاء بناء على ظروف سياسية واجتماعية معينة قبل خمسة عشر قرناً. ولم تعد هذه الظروف قائمة الآن. وإنما تغيرت تغيراً كلياً ولذا يجب عدم الاستعانة مطلقاً بالمواقف الدينية التي جاءت في القرآن تجاه الآخرين قبل خمسة عشر عاماً لمهاجمة الآخرين الآن وسفك دمائهم. فالمصالح متغيرة والمواقف متغيرة والتغير هو سنة الحياة.

وهذا الطرح يحدد عدة مواقف يقفها الليبراليون الجدد من الإسلام والقرآن الكريم والنبوة. ومعنى هذا الكلام أن القرآن الكريم ليس منزلاً من الله سبحانه، وإنما الذي صنعه محمد ﷺ بسبب ظروف سياسية واجتماعية معينة قبل خمسة عشر قرناً. وقد ناسب في وقته تلك الظروف القائمة التي لم تعد موجودة الآن. وإنما تغيرت تغيراً كلياً.

ونحن بدورنا نسأل: ما الذي تغير من ظروف؟ جاء الإسلام ليوحد الأمة المتفرقة في عقائدها، وينقذها من الجهل والتخلف والتقاتل القبلي. فهل الأمة موحدة حتى لا تحتاج لقوله تعالى: ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ﴾؟.

وهل الأمة في حالة قوة حتى لا تهيئ نفسها لمواجهة العدوان الخارجي؟ فالعدوان الصهيوني يهدد الأمة كلها منذ ثمانين عاماً، والعدوان الأمريكي الغربي ما يزال يقوم بحرب الإبادة بحق أبناء الإسلام في كل مكان يتواجدون فيه. أما الظروف الاجتماعية الحالية فهي أسوأ مما كانت عليه زمن الجاهلية. فإذا كان الجاهليون قد وقعوا في بعض العادات السيئة وكذلك الأخلاق غير المحمودة فإن سلوكيات المجتمعات العربية الإسلامية أصبحت أسوأ مما كان عليه الجاهليون.

وعندما يقول الليبراليون: يجب عدم الاستعانة مطلقاً بالمواقف الدينية التي جاءت في القرآن الكريم، فإننا نسأل بماذا يجب الاستعانة؟ بأي فلسفة وضعية أم بأي فكر؟ بفكر المحافظين الجدد؟ أم بفكر العلمانية غير الدينية؟

وإذا كان (القرآن) يحتاج لنقد أو إخضاع للنقد فماذا تبقّى في الإسلام؟ إن الدعوة المريضة ليست سوى حملة صليبية يهودية تريد تدمير الإسلام وكتابه الإلهي وتدمير كل ما أتت به السنة المحمدية الشريفة، وإخضاع الأمر كله لإرادتهم.

ثم يقولون إن المواقف التي جاءت في الكتاب المقدس تجاه الآخرين قبل خمسة عشر قرناً أتت لمهاجمة الآخرين الآن وسفك دمائهم.

فالإسلام بنصوصه القرآنية لم يأت ليؤسس للعدوان بل لدفع العدوان. وحتى اليوم فإن المسلمين هم من يعتدى عليهم. فإذا رد المسلمون على العدوان أصبحوا سفاكي دماء وقتلة، فهل يريد الليبراليون أن يُقتل المسلمون ويقولون للجلادين هل من مزيد!.

إن الأمة الإسلامية ليست مصابة بعقدة المازوخية حتى يتلذذوا بتعذيب غيرهم لهم. وليسوا مستعدين لقبول أي شكل من أشكال الاستعمار وليست لديهم قابلية للاستعمار.

5 ـ وجاء في البند الخامس:

العودة إلى الذات ونقدها والعودة إلى الوعي بالذات لا كأفراد ولكن كأمة ولا يكفي أن نهزم الأساطير ولكن علينا ملاحقة ظلالها في الكهوف والمغارات أيضاً.

ظاهر الكلام يوحي بأن الليبراليين الجدد يحاربون الأساطير الوثنية، ونحن نقول لهم: إن الإسلام أول دين وآخر دين حارب الأساطير والخرافات ورسخ المفهوم العلمي للحياة، ولكن باطن هذا الكلام يوحي بأن المقصود محاربة الإسلام لأنه بنظرهم هو الأساطير الذي يجب أن يلاحق حتى المغاور والكهوف.

ومن أخطر البنود البند الذي يقول:

6 ـ البند السادس:

عدم الحرج من الاستعانة بالقوة الخارجية لدحر الدكتاتورية العاتية واستئصال جرثومة الاستبداد وتطبيق الديمقراطية في ظل عجز النخب الداخلية والأحزاب الهشة عن دحر تلك الدكتاتورية وتطبيق تلك الديمقراطية.

هنا لابد أن نتوقف طويلاً عند هذا البند الخطير.

أولاً: إن الداعين للاستعانة بالقوى الخارجية لا يدركون أو هم يتغافلون عن أن الاستعانة بالقوى الإمبريالية الأمريكية البريطانية أو غيرها إنما هي استعانة بأعداء الأمة كلها. تحت حجة الاستعانة بهم للقضاء على الديكتاتوريات المحلية. والجميع يعرف طبيعة هؤلاء الذين يُستعان بهم. فهم أشرس وأوحش وأحقد جهة على أمة العروبة والإسلام. وهم أنفسهم صرحوا مراراً وتكراراً بأنهم أعداء الإسلام والمسلمين.

وليس صوت الليبراليين الجدد سوى صدى لما يقوله أعداء الأمة من صهاينة يهود وصليبيين محافظين.

ثانياً: إن تلك القوى التي يستعان بها ليست قوى ديمقراطية حتى تجلبها إلى العرب. فإذا كان تنافس الأحزاب ينحصر في حزبين فقط ويحظر على بقية التوجهات الترشيح فأين هي هذه الديمقراطية؟ ألا يعرف الليبراليون الجدد أنه من المحظور أن يرشح رجل إلى سدة الرئاسة الأمريكية ما لم يكن بروتستانتياً؟ وهل جرى أن نجح للرئاسة أمريكي من أصل زنجي أو ملون؟ فأين هي الديمقراطية وأين هي الحرية؟ وهل الفوضى الإباحية حرية؟ أم أن مئات الآلاف من اللقطاء الأميركان أو غيرهم يدل على هذه الحرية الفردية المحترمة؟

ثالثاً: إن القوى الخارجية المستعان بها أشد فتكاً من الديكتاتوريات المحلية فنرى اليوم ماذا يجري من مذابح في العراق، فالذين قتلوا من أبناء الشعب العراقي في عام واحد يفوق ما قتله النظام السابق في العراق خلال ثلاثين عاماً. ويدرك هؤلاء العملاء من الليبراليين الجدد أن الجيش الأمريكي ما جاء لمنح الحرية للشعب العربي في العراق، إنما جاء للاستئثار بثروات العراق البترولية ولضمان أمن حليفته إسرائيل وأعوانها من الأنظمة المستبدة، والقضاء على البلد العربي الذي كان يمتلك إمكانية التحدي للعدو الصهيوني بما يحويه من ثروات وعلماء وتوجه نحو التوازن الاستراتيجي مع ذلك العدو.

رابعاً: لقد رأى الليبراليون الجدد ماذا جرى لرموز الليبرالية العراقية الذين جاؤوا على ظهر الدبابة الأمريكية أمثال الجلبي وأعضاء حزبه، وماذا جرى لكثير من رموز

العمالة للجيش الأمريكي على أيدي الأمريكيين أنفسهم. إن طبيعة الاستعمار هي طبيعة الذي يوظف العملاء والجواسيس ثم إذا ما انتهوا من مهمتهم رموهم بعيداً.

خامساً: عندما يعترفون بعجز النخب الداخلية والأحزاب الهشة عن دحر الدكتاتورية المحلية فعليهم أن يدركوا أن هذا العجز مرده إلى انحراف كبير في تفكيرهم. ولو كانوا مخلصين لأمتهم لما كان فيهم هذا العجز، ولو كانوا مستقيمين في جميع هذه السمات لالتفت الجماهير من حولهم وغيروا الكثير من أنظمة الاستبداد، ولكنهم يُبدون أكثر ميلاً للانحراف من أي نظام مستبد.

سادساً: باعتبار أنهم يرفضون العروبة ويرفضون الإسلام ويحاولون شن الحرب عليهما لن يؤمنوا بالطبع أن الموالاة لملة الكفر كفر بحد ذاته، ولكننا نريد أن نذكرهم بأن الذي يوالي الكفار ضد المسلمين فهو منهم حسب ما نص عليه القرآن الكريم.

7 ـ وجاء في البند السابع:

لا حرج أن يأتي الإصلاح من الخارج ولكن بالطرق الدبلوماسية والمهم أن يأتي سواء أتى على ظهر جمل عربي أو على ظهر دبابة بريطانية أو بارجة أمريكية أو غواصة فرنسية.

ولا يختلف هذا البند عن سابقه فهو دعوة للاستعمار على أي حال.

8 ـ البند الثامن:

ويأتي البند الثامن وهو الذين يتعلق بحل القضية الفلسطينية فيقول:

الإيمان بأن لا حل للصراع العربي مع الآخرين سواء في فلسطين أو خارجها إلا بالحوار والمفاوضات والحل السلمي في ظل عدم تكافؤ موازين القوى العسكرية والعلمية والاقتصادية والعقلية بين العرب وأعدائهم.

فهذا البند يحوي عدة نقاط نتوقف حيالها لنرى مدى التحريف الذي وقع فيه هؤلاء. فهذا البند يتماشى تماماً ما يطرحه زعماء الكيان الإسرائيلي وزعماء الولايات المتحدة والأنظمة التي انسحبت من الصراع مع الاحتلال الصهيوني منذ اتفاقيات كامب ديفيد. ويتغافل البند عن طبيعة الكيان الإسرائيلي التوسعية والأطماع العدوانية في الأرض

العربية. وعندما يدعو إلى المفاوضات والحوار والحل السلمي يفترض أصحاب هذا التيار أن العرب هم الذين يرفضون السلام، بينما الحقيقة عكس ذلك حيث أن الكيان الإسرائيلي هو الذي يرفض السلام ويسير في منهج دموي إبادي. وما نشاهده من سياسة الإبادة في الضفة والقطاع يدل على ذلك.

وعندما يقولون أو يتحدثون عن عدم تكافؤ موازين القوى، فإنهم يتغافلون عن أسباب عدم التكافؤ، ويدركون أن الذي يخلق عدم التكافؤ التحالف الإستراتيجي بين أميركا والكيان الإسرائيلي.

إن قضية فلسطين هي المحك الذي يفرز المواقف إلى موقفين واضحين، إما موقف المؤيد المناصر للقضية الفلسطينية وإما موقف المتحالف المتعاون مع الكيان الصهيوني. ومن المفترض أن يدرك أصحاب هذا التيار كيف احتلت أرض فلسطين وكيف يشرد أهلها وما زالوا يشردون ثم عليهم أن يدركوا طبيعة الكيان الإسرائيلي القائمة على العنصرية ومبادئ حرب الإبادة.

على كل حال، إذا كان هذا رأيهم بالنسبة للقضية الفلسطينية فعليهم أن يقدموا رؤيتهم لحل المشكلة الفلسطينية بشرط أن يكون الحل عادلاً لا يظلم فيه الشعب الفلسطيني، فإذا كان لديهم أي حل فليقدموه.

9 ـ البند التاسع:

ويأتي البند التاسع ليقول:

الإيمان بالتطبيع السياسي والثقافي مع الأعداء والاعتراف بالواقعية السياسية وما يجري على أرض الواقع العربي السياسي.. وأن التطبيع والتلامح بين الشعوب والثقافات هو الطريق إلى السلام الدائم في الشرق الأوسط. وأن اتفاقيات السلام كاتفاقية كامب ديفيد 1977 واتفاقية أوسلو 1993 واتفاقية وادي عربة 1994 يجب أن تصبح اتفاقيات شعبية بين الشعوب بدلاً من أن تكون اتفاقيات دول فقط ولا علاقة للشعوب بها.

ماذا يعني التطبيع السياسي والثقافي؟ ألا يعني أن يكون في مسار طبيعي بين طرفين؟ وهل المسار طبيعي بين الكيان الصهيوني والشعب الفلسطيني؟ كيف يمكن أن

يكون هناك تطبيع بينما أكثر من نصف الشعب الفلسطيني مشرد بسبب سياسة التشريد التي يقوم بها الكيان الإسرائيلي؟ كيف يتم التطبيع والجرائم الجماعية الصهيونية قائمة على قدم وساق في فلسطين؟

وهل الواقعية السياسية تعني إحقاق الباطل والاعتراف بسيادته على الحق؟ ثم كيف يتم التلامح الثقافي وهناك حركة صهيونية تقوم على مبادئ أسطورية عنصرية تقرر قتل الآخر وتبيده ولا تعترف بوجوده ولا بحقوقه؟

ثم إن الاتفاقيات التي جرت في كامب ديفيد وأوسلو ووادي عربة يرى الليبراليون أن تعميمها يجب أن يتم على مستوى الجماهير. ونحن بدورنا نسأل ماذا قدمت اتفاقيات كامب ديفيد؟ استعادت مصر سيناء ولكنها فقدت دورها التاريخي في قيادة العرب وأفقدت نفسها دور الداعم للقضية الفلسطينية.

أما اتفاقية أوسلو، فأين هي وهل طُبق منها شيء؟ وهل يتناسى أصحاب هذا التيار أن طبيعة الكيان الإسرائيلي هي طبيعة شاذة في العهود والمواثيق؟ ألم تُدس هذه الاتفاقات تحت الأقدام عندما جاء شارون إلى رئاسة الحكومة الإسرائيلية الجديدة؟ وماذا كانت النتيجة؟ اتفاقيات جديدة، خارطة الطريق، الانسحاب من غزة.. وأخيراً حرب إبادة مستمرة على الشعب الفلسطيني.

أما اتفاقية وادي عربة، لماذا يتناسى الليبراليون الجدد ماذا فعلت إسرائيل في ظل هذه الاتفاقية؟ لقد سهلت مرور الموساد الإسرائيلي من الأردن إلى العراق لسرقة آثار العراق والاشتراك بعمليات القتل الجماعية ضد الشعب العراقي. وتخريب المجتمع الأردني على كافة الصعد، فقدان مياه الشرب بسبب سياسة إسرائيل المائية.. إلخ.

10 ـ البند العاشر:

الوقوف إلى جانب العولمة وتأييدها باعتبارها أحد الطرق الموصلة إلى الحداثة الاقتصادية العربية التي يمكن أن تقود إلى الحداثة السياسية والثقافية.

من الذين يقفون إلى جانب العولمة؟ إذا كانت شعوب أوروبا واليابان قد قامت باحتجاجات ومظاهرات في سياتل وروما وبلجيكا وغيرها ضد العولمة وهم يعيشون في

دول ديمقراطية فكيف نتعامل نحن مع هذه العولمة الذي تلغي القوميات والثقافات والخصوصيات لكل أمة من الأمم، فالعولمة لا توصل إلى الحداثة الاقتصادية العربية، بل تحطم الاقتصاد الوطني وتسيد الاقتصاد الرأسمالي الإمبريالي، بل تزيد الفقراء فقراً والأغنياء غنى.

ونحن نستغرب من هؤلاء الليبراليين كيف يطالبون بالوقوف إلى جانب العولمة؟ على الرغم من أن هذه العولمة تلغي الخصوصيات الثقافية والقومية للشعوب وخاصة المسلمة منها والعربية.

12 ـ البند الثاني عشر:

أما البند الثاني عشر فيقول:

اعتبار الأحكام الشرعية أحكاماً وضعت لزمانها ومكانها وليست أحكاماً عابرة للتاريخ كما يدعي رجال الدين، ومثالها الأكبر حجاب المرأة وشهادة المرأة.

وبهذا البند يريدون أن يلغوا جميع الأحكام الشرعية التي اجتهد فيها علماء المسلمين منذ عصر الرسول الله ﷺ وحتى بقية العصور. وهذه الثروة الهامة من الفقه والتي اشتغل فيها وصاغها جُهد عشرات السنين على ضوء القرآن الكريم والسنة الشريفة. ويقصد هؤلاء الليبراليون أيضاً تلك الأحكام التي فرضها الله عز وجل على المسلمين من خلال نصوص صريحة واضحة، وهي كلام الله الذي أنزل على قلب رسول الله ﷺ.

فكلام الله وأحكامه صلحت حسب رأيهم لزمان دون زمان وهي لا تصلح لكل الأزمان وليست عابرة للتاريخ فيجب عدم الأخذ بها، والاستعانة بأحكام يسنها أنبياء المحافظين الجدد!!.

فإذا كانت هذه الأحكام الإلهية مرفوضة فأي الأحكام هي المقبولة والصالحة لحل كافة المشاكل النفسية الذاتية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية؟

لقد سجل العالم كله، أدباؤه ومستشرقوه ودارسوه أن أحكام الإسلام جاءت شمولية معالجة لكل شيء كونها أحكاماً إلهية وليست فلسفة وضعية. وإذا قارن أي باحث

بين أية قوانين في حقوق الإنسان وبين قوانين الإسلام وجد الفروق واضحة. ووجد أن الأحكام والقوانين الإلهية هي قوانين تصلح لكل زمان ومكان. ويبدو أن هؤلاء الليبراليين لم يكلفوا أنفسهم القراءة العميقة أو الاطلاع على قوانين الإسلام وأحكامه.

13 ـ البند الثالث عشر:

ويأتي في البند الثالث عشر:

إن الفكر الديني وهو الفكر الذي جاء به علماء الدين وفقهاؤه ورجاله وليس الدين الرسولي نفسه يقف حجر عثرة أمام الفكر الحر وتطوره كما يقف حجر عثرة أمام ميلاد الفكر العلمي.

ونحن بدورنا نسأل هؤلاء: هل جاء علماء الدين بالفكر الديني من ذواتهم؟ ثم ما هو الفكر الديني الذي يقصده الليبراليون الجدد؟ وإذا كانت بعض الفئات الدينية قد حجرت الفقه وتشددت باتجاه حصر الإسلام بمنهج فقهي واحد فليس الذنب ذنب علماء الأمة، لقد قدمت الأمة مئات العلماء والفقهاء الذين فتحوا أمام الاجتهاد كافة الأبواب حتى ييسروا للأمة دينها.

وحينما يحاولون التفريق بين ما جاء به رسول الله ﷺ وبين الفكر الديني الذي جاء به العلماء فإنهم يقصدون كلمة يراد بها باطل ونفاق لأنهم يعودون في أكثر البنود إلى الهجوم إلى الماضي كله بما فيه الرسالة والرسول عليه الصلاة والسلام.

فيقولون في البند الرابع عشر:

لا ولاء مطلقاً للماضي المحكوم بماضيه فقط، ولا انغلاق عليه. وفهم الحاضر يدفعنا إلى إعادة النظر في قيم الماضي، وضرورة خلق المستقبل الذي هو لبّ الحداثة.

وفي هذا رفض قاطع للولاء للإسلام كعقيدة ولا ولاء للقرآن باعتباره كتاب الله المنزل دستوراً للعالمين.

وفي البنود الأخرى المكملة يهاجم الليبراليون الجدد الماضي كله باعتباره عادى الفلسفة والعلوم وحرم علم الكلام والطب إلى آخر ما هنالك من هذه الهجومات.

ولابد لنا الآن من طرح ملاحظة نقدمها ليجيب عليها هؤلاء الليبراليون الجدد:

إذا قُدر لليبراليين الجدد أن يحكموا في أي بلد عربي فهل يستندون في حكمهم إلى قانون الحوار أم سيقومون بغير ذلك؟ أم أنهم سيكونون أشد استبداداً من أنظمة الحكم التي ينادون بإسقاطها؟

على أي حال، فإن تيار الليبراليين الجدد يفصح عن نفسه بنفسه، فهو الداعي لاستقدام الاستعمار إلى المنطقة، للقضاء على مقدرات الأمة. فكل بنوده وأفكاره تتجه لمعاداتها ولم نسمع منهم أي انتقاد للكيان الإسرائيلي العنصري الإجرامي، ولم نسمع أي انتقاد يتجه نحو عقيدة أخرى أو جماعة أخرى سوى عقيدة هذه الأمة. وبذلك يفصحون عن أنفسهم بأنفسهم.

obeikandl.com